

رجل من قريش يستشيرني في امرأة يتزوجها فقلت: يا ابن أخي: أقصيرة النسب أم طويلته؟ فلم يفهم عني.

فقلت: يا ابن أخي: إني أعرف في العين إذا عرفت، وأنكر فيها إذا أنكرت، وأعرف فيها إذا لم تعرف، ولم تُنكر. أما إذا عرفت فتتجاوز، وأما إذا أنكرت فتجحظ، وأما إذا لم تعرف ولم تنكر فتسجرو؛ وقد رأيت عينك ساجية. فالقصيرة النسب هي التي إذا ذكرت أباهما اكتفت به. والطويلة النسب هي التي لا تُعرف حتى تطيل في نسبتها. فإياك أن تقع في قوم قد أصابوا كثيراً من الدنيا مع دناءة فيهم فتضيع نفسك فيهم.

ويقال: إن المرأة إذا كانت مبغضة لزوجها فأية ذلك أن تكون عند قربها منها مرتدة النظر عنه كأنما تنظر إلى إنسان وراءه. وإذا كانت محبة له لاتقلع عن النظر إليه.

قال المبرد: أردت أن أعلم كيف حالني عند امرأتي، فالتفتت وقد نهضت من بين يديها فإذا هي تكلم في قفاي أي (تكشّر في عبوس). وإدمان النظر من علامات الحب. فالعين باب النفس وهي المنقبة عن سرائرها، والمعبرة عن ضمائرها. وكثيراً ما يكون لصوق الحب بالقلب من نظرة واحدة.

فالشاعر يوسف بن هارون⁽¹⁾ كان مجتازاً عند باب العطارين بقرطبة. وهذا الموضع كان مجتمع النساء. فرأى جارية أخذت بمجامع قلبه، وتخلل حبها جميع أعضائه. فانصرف عن طريق الجامع، وجعل

(1) - ابن حزم الأندلسي - طوق الحمامة - ص 122 - 123